

تاريخ أوقاف القدس بوصفها نموذجاً لعدالة الإسلام والتعايش بين الأديان د. محمد سلامة البلوى*

ملخص

تحاول الدراسة معالجة هذا الموضوع من خلال أربعة مباحث، تناول الأول منها، مكتبات بيت المقدس الوقفية نموذجاً للتعايش الثقافي، وتناول الثاني، الخدمات الوقفية للحجاج من غير المسلمين، وتحدث الثالث عن الأوقاف الاجتماعية والصحية والتعليمية التي أوقفها أصحاب البيانات الثلاث، وجاء المبحث الأخير يتعرض لحماية الدولة الإسلامية لأوقاف أهل الذمة، ثم اختتمت الدراسة بعدد من النتائج المهمة.

* أستاذ التاريخ الإسلامي المشارك، جامعة الشارقة قسم التاريخ والحضارة الإسلامية.

**" Jerusalem's Waqfs(Religious endowment) history..
a model of Islamic justice and
co. existence between religions".**

Abstract

The Study treats this object throughout four topics .The first topic deals with the libraries of Waqf of Bait Al Maqdis (Jerusalem) as a model for cultural co-existence. The second topic deals with the Waqfs' services for the Hajjis (Pilgrimages) from other than Muslims. The third one has to do with social, health and educational Waqfs made by the owners of the three religions. The last topic deals with the protection of the Islamic state for Dhimmis endowments.

The Study concludes by a number of Important consequences.

الحمد لله والصلاة والسلام على نبي الرحمة والتسامح محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين، وبعد:

فإن أوقاف القدس إبان الحكم الإسلامي تقدم لنا تجربة فريدة في مجال التعايش بين الأديان السماوية الثلاثة، فأول مرة في تاريخ المدينة الطويل تجاورت المساجد مع الكنائس النصرانية والكنس اليهودية في جو من المحبة والسلام، وأول مرة في التاريخ أيضا فتحت هذه المدينة المقدسة ذراعيها لكل الأجناس والأديان والطوائف للعيش فيها وممارسة شعائرهم بكل حرية، وتحبيس الأموال والعقارات لخدمة الأهالي والزوار والحجاج إلى هذه المدينة المقدسة.

لقد جسدت أوقاف بيت المقدس ما يكتنه أبناء الديانات الثلاث من حب لهذه البقعة المقدسة؛ إذ يوجد داخل سور المدينة القديمة التي لا تتجاوز مساحتها كيلومتر مربع واحد أكثر من مائتين وأربع وسبعين مؤسسة وقفية للمسلمين والنصارى واليهود لمسح دموع الفقراء وتوفير الطعام والكساء والعلاج والمأوى لمن يقصد زيارتها للمجاورة أو الحج أو طلب العلم.

أجل، إن هذا الكم الهائل من المؤسسات الوقفية في هذه الرقعة المحددة التي أقامها المسلمون بمختلف مذاهبهم، واليهود والنصارى على تعدد طوائفهم، ليؤشر بوضوح إلى نجاح تجربة التعايش بين الأديان، والتعاون الثقافي بين الدول والجماعات والأفراد، والتنافس في فعل الخير، وتعزيز ثقافة السلم بين البشر.

لقد عاش في المدينة المقدسة عشرات الأجناس والطوائف والمذاهب والأديان والفرق، فكان هناك المسلمون بمذاهبهم الفقهية المتعددة، فضلا عن أكثر من سبعين طريقة صوفية، وكان هناك الأرمن، والسريان، والأقباط، والأحباش، والموارنة، واليونان، والطلبان، والروس، والإسبان، والعرب، والبربر، والفرس، والهنود، والأكراد، واليهود، والكاثوليك، والأرثوذكس، والبروتستانت، بل لا يكاد صقع من أصقاع العالم إلا ومنه مجاورون في القدس ولهم فيها أوقاف، فأى تعايش وتواصل وتعاون بين الأديان والأجناس مثل هذا؟ وأى تسامح وعدالة عاشتها المدينة تحت راية الإسلام؟

ولعل قمة التعايش تصل إلى ذروتها عندما يعهد النصارى إلى المسلمين بالإشراف على أقدس وقفية عندهم ألا وهي كنيسة القيامة؛ إذ اتفق النصارى منذ ثمانمائة عام حتى اليوم على إسناد مهمة الإشراف على هذه الكنيسة لأسرتين مسلمتين هما أسرة نسيبة وأسرة آل جودة؛ إذ تحتفظان بمفتاح الكنيسة وتقومان بفتحها والإشراف على شئونها العامة.

وفى المقابل نجد المسلمين منذ عهد عبد الملك بن مروان يسندون مهمة الإشراف على صناعة حصر المسجد الأقصى قنابله، فضلا عن أعمال الحراسة والتنظيف إلى عشرة من النصارى وعشرة من اليهود، بل إن بعض الأوقاف كانت مزارا للمسلمين والنصارى على حد سواء، مثل كنيسة "السيدة مريم" التى تحتضن قبرها عليها السلام.

لقد بهرت عدالة الإسلام اليهود والنصارى والرحالة على مختلف أجناسهم وأديانهم، فقموا بكل أمانة شهادتهم على سمو الروح الإسلامية واحترامها للإنسان. يقول يوسف الحكيم عندما زار القدس عام 1910م: "ساد الإخاء والمودة بين المواطنين من مسلمين ومسيحيين، فهم يتبادلون العواطف فى كل مناسبة، ولا سيما فى الأعياد والمواسم على كثرتها، حتى ليعسر على المرء التفريق بينهم لولا بعض الحالات المتعلقة بالأكبسة والأسماء الموروثة التى اختص بها فريق دون الآخر". ويقول البطريك عيشويابه (647-657م): "إن العرب الذين مكثهم الرب من السيطرة على العالم يعاملوننا كما نعرفون بالحنسى، إنهم ليسوا بأعداء للنصرانية، بل يحترمون ملتنا ويوقرون قسيسينا، ويمدون يد المعونة إلى كنائسنا وأديرتنا".

أما الرحالة اليهودى إسحاق بن يوسف (1333م) فهو يعترف بأن اليهود يعيشون فى المدينة المقدسة بأمان وطمأنينة بفضل العدالة الإسلامية. كما أثنى الرحالة الأندلسى أبو بكر بن العربى حين زار القدس على روح التسامح التى كانت تسود المدينة؛ إذ كانت هناك الحوارات بين المفكرين المسلمين واليهود والنصارى، وكانوا يبحثون مواضيع شتى فى الدين والروحانيات، إلى غير ذلك من الشهادات التى لا يتسع المجال لبسطها.

أجل لقد اشترط النصارى على الفاروق - رضى الله عنه - حين سلموه مفاتيح المدينة المقدسة ألا يجاورهم فيها أحد من اليهود، كما أن اليهود بالأمس واليوم يؤمنون بأن هذه المدينة خالصة لهم، ويجب ألا يشاركهم فى حكمها أحد، وجاء الإسلام ليقول بأن هذه المدينة حرة ومفتوحة للأديان الثلاثة تحت راية العدالة الإسلامية.

لقد مثلت أوقاف القدس إيان الحكم الإسلامى نموذجا فريدا للعولمة الراشدة والتى كانت تتخذ من قوله تعالى ﴿وَفَاعِلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (الحج، من الآية 77) ومن قوله تعالى ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (الممتحنة، الآية 8)، فضلا عن توجيهات المصطفى - صلى الله عليه وسلم - الكثيرة التى تدعو إلى التسامح والتعايش السلمى شعارا وهاديا لمسيرتها؛ إذ تحولت القدس مقرا للخطاب الدينى القائم على استبقاء الآخر على ما يراه له ومنه بحيث يبطل الاحتراب.

وقد جاءت هذه الورقة محاولة متواضعة لاستطاق تجربة القدس الوقفية إبان الحكم الإسلامي، واستحضار عناصرها المؤثرة في مسيرة الأمة منذ تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي عام 583هـ/1187م، حتى سقوطها في أيدي الصهاينة عام 1967م، وذلك من خلال محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

كيف عبرت أوقاف القدس الإسلامية عن الوحدة والتنوع؟ وما الأدلة والبراهين التي تثبت نجاح تلك التجربة في تعزيز التعايش بين الأديان في هذه البقعة المباركة؟ وكيف عبرت أوقاف القدس عن تضافر الجهود الدولية لتوفير الأمن بمفهومه الشامل لسكان بيت المقدس وزواره؟

وقد جاءت الإجابة عن هذه التساؤلات في أربعة مباحث: تناول الأول منها مكتبات بيت المقدس الوقفية بوصفها نموذجاً للتعايش الثقافي والتواصل الدولي، وأفرد المبحث الثاني للخدمات الوقفية لحجاج بيت المقدس من غير المسلمين، وتحدث المبحث الثالث عن الأوقاف الاجتماعية والصحية والتعليمية التي أوقفها أصحاب الديانات السماوية الثلاث، وخصص المبحث الأخير للحديث عن الدولة الإسلامية لأوقاف أهل الذمة، وقد ذيلت الدراسة بأهم النتائج والتوصيات التي خرجت بها.

وفي الختام أذكر أن أوقاف القدس الإسلامية والنصرانية تتعرض منذ قيام دولة إسرائيل لهجمة مبرمجة لهدمها ومصادرتها وإلغائها؛ لأنها تفضح عنصرية اليهود وتبرز عدالة الإسلام، فقد أحرقت المسجد الأقصى، وتخلصت من منبر صلاح الدين الذي يذكر بتسامح هذا القائد العظيم مع أهل الذمة، وهدمت حى المغاربة، وحولت بعض الأوقاف إلى مراكز للشرطة، وغير ذلك مما يشاهد كل يوم على شاشات التلفاز والمواقع الإلكترونية؛ وهو مما أثار اشمئزاز الأحرار في العالم واستنكارهم. وحدا بالياس الرابع، بطيريك أنطاكية وسائر المشرق للروم الأرثوذكس إلى مخاطبة ملوك العالم الإسلامي وقادته في لاهور عام 1974م يستنهض همهم للدفاع عن هذه المدينة المقدسة والمحافظة على التعايش الذي أرسى قواعده المسلمون؛ إذ قال: "القدس محجتم على دروب الحرية، ونحن وإياكم مقدسيون رجاء وغرما وبذلاً، وكيف نكون للقدس، ناسين ويقيننا أن المدينة العظيمة قد غدت معراج الإنسانية إلى الله... وإنه لمن دواعي غبطتنا أن نخاطب المسيحيين من قلب هذا المؤتمر الإسلامي، وأن نخاطب مسلمي الأرض في آن واحد، لنقول لهم كلهم إن القدس محل اعتزازهم وفخرهم، نحن نريد معكم أن تكون القدس معقل روحانية طاهرة، يدافع عنها الإنسان فيما نحج إلى الله...".

"وأخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين".

1- مكتبات بيت المقدس بوصفها نموذجاً للتعايش الثقافي:

إن المتأمل لمكتبات بيت المقدس الوقفية يجد تجربة فريدة للتناقص بين الأجناس والتعايش بين الأديان السماوية الثلاثة إبان الحكم الإسلامي للمدينة المقدسة، ذلك الحكم الذى كفل للجميع حرية العبادة والتعبير، فتفجرت الطاقات وانطلق سكان المدينة المقدسة صفاً واحداً بملابس مختلفة لتحويل مدينتهم أنموذجاً للمدينة الفاضلة التى يعيش فيها الجميع فى أمن وسلام. ولعل ما تزرخ به مكتبات القدس الشريف من ذخائر تتعلق بعقائد المسلمين وغير المسلمين وأفكارهم وفلسفاتهم التى كتبت بالسريانية، واليونانية، والحبشية، واللاتينية، والعبرية، والفارسية، والتركية والأردية والعربية، والإنجليزية، والألمانية، والروسية، والإسبانية، والإيطالية - لعل فى ذلك كله الدليل الدامغ على عالمية ثقافة هذه المدينة التى تشهد بسماحة الإسلام وعدالته التى سمحت لهذه الطوائف والمذاهب بالتعبير عن معتقداتها وأفكارها باللغة التى تراها.

لقد عبر عشاق القدس من أصحاب الديانات السماوية الثلاث عن عشقهم وحُبهم لمدينتهم من خلال إهداءهم إلى مكتباتها نواذر المخطوطات، والمصاحف، والمؤلفات الثمينة فى مختلف حقول المعرفة، لينتفع بها طلبة العلم الذين وفدوا إليها من مختلف أنحاء المعمورة، فانتشرت المكتبات فى المساجد والزوايا والمدارس والأديرة والكنائس التى كانت فى الغالب الأعم مفتوحة للجميع⁽¹⁾، فكيف عبرت تلك المكتبات الوقفية عن روح التسامح والتعايش مع غير المسلمين على المستوى المحلى والدولى؟

هذا ما يحاول أن يجيب عنه هذا المبحث، من خلال تسليط الضوء على أشهر المكتبات الإسلامية وغير الإسلامية فى القدس التى تجسد حرص الإسلام على صيانة الحريات واحترام الإنسان، بغض النظر عن لونه أو جنسه أو معتقده فى ظل عدالة عز نظيرها فى تاريخ هذه المدينة.

أ- المكتبات الإسلامية:

لقد عبرت مكتبات بيت المقدس عن عمق محبة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها لهذه البقعة المقدسة، خاصة بعد تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي عام 583هـ/1187م؛ إذ تحولت القدس إلى جامعة عالمية مفتوحة زادت مكتباتها الوقفية عن مائة وسبعين مكتبة ملحقة بالمساجد والزوايا والمدارس والكتاتيب خلال فترة الدراسة⁽²⁾، وهذا يجسد إحساس الأمة بأنها استردت شيئاً عزيزاً لديها، لذا تسابق الحكام والرعية إلى إقامة هذه المكتبات والمرافق العامة لخدمة طلبة العلم والمجاورين الذين وفدوا إليها من مختلف أنحاء العالم الإسلامى طمعاً فى الأجر

والثواب وتحصيل المعرفة في هذه البقعة المقدسة، وقد صور لنا العماد الأصفهاني (3) الازدهار الثقافي الذي شهدته القدس بعد تحريرها من نير الصليبيين بقوله: "فما ترى إلا قارنا باللسان الفصيح وراويا للكتاب الصحيح ومتكلما في مسألة... وذاكرا لحكم مذهبي وسائل عن لفظ لغوي ومعنى نحوي... أو ناشدا بنشيد".

ولعل من أبرز مكتبات بيت المقدس الإسلامية التي تمثل تضافر جهود الأمة الخيرة في خدمة المعرفة والثقافة لسكان هذه المدينة وروادها من مختلف الأجناس والأعراق.

1- مكتبة المسجد الأقصى: تعد من أهم المكتبات الإسلامية في المدينة المقدسة من حيث مقتنياتها العلمية الفريدة ومخطوطاتها النادرة التي أهديت إليها من كبار العلماء والحكام وأثرياء الأمة، فعلى سبيل المثال: أحضر صلاح الدين الأيوبي من مكتبة دمشق كثيرا من المصاحف والكتب ووضعها في خزانة الأقصى، كما أهدى سلطان المغرب المريني أبو سعيد عثمان إلى خزانة الأقصى مصحفا شريفا غاية في الروعة والجمال، خطه بيده، وأوقف عليه أوقافا لقراءته في المسجد الأقصى إلى جانب عشرات المصاحف التي أوقفها سلاطين المماليك والعثمانيين. ومن أجل ضمان استمرار هذه المكتبة في تقديم خدماتها لطلبة العلم عززت بعشرات الأوقاف المنتشرة في معظم مدن فلسطين للإنفاق عليها وعلى طلبة العلم والعلماء والقائمين على التدريس، وقراء القرآن في المصاحف الموقوفة من قبل أهل الخير في الأمة. وبعبارة أخرى كانت أوقاف مكتبة الأقصى تعبر تعبيراً صادقا عن التواصل بين أبناء الأمة وتضافر جهودها في أعمال البر والخير المتعلقة بخدمة المعرفة ونشر الكتاب (4).

2- مكتبة الشيخ الخليلي (تأسست عام 1138هـ/1725م): أوقفها شيخ الإسلام محمد الخليلي مفتي الشافعية بالقدس وأحد شيوخ الطريقة القادرية، وهي أول مكتبة عامة يوقفها أحد سكان مدينة القدس لأبناء المدينة المقدسة، وكان فيها سبعة آلاف كتاب، وكانت مفتوحة الأبواب للناس كافة (5).

3- المكتبة الخالدية العمومية: وهي من أهم دور الكتب العامة في فلسطين وأغناها، أوصت بوقفها السيدة خديجة الخالدي ابنة قاضي عسكر بر الأناضول موسى أفندي، أسست عام 1318هـ/1900م، وقد وصل عدد كتبها عام 1945م إلى اثني عشر ألف كتاب، بالعربية والفارسية والتركية والإنجليزية والفرنسية، منها خمسة آلاف مخطوط في العلوم المختلفة (6).

4- مكتبة المدرسة النصرية (الغزالية): أنشأها نصر بن إبراهيم المقدسي في أواسط القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي، وهي من أشهر المكتبات المقدسية في العهدين الأيوبي والمملوكي، وبسبب كثرة الكتب الموقوفة عليها أمها العلماء والطلاب من مختلف أرجاء العالم الإسلامي (7).

- 5- مكتبة المدرسة الفخرية: أوقفها القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله (ت 732هـ/1331م) الذى ينحدر من أصل قبطى، أسلم وحسن إسلامه، وهى مكتبة غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية، وكان عدد مجلداتها يقدر بنحو عشرة آلاف مجلد، وقد استولت عليها إسرائيل فى 16/6/1969⁽⁸⁾.
- 6- مكتبة المدرسة الأمينية: أوقفها الشيخ محمد بن صالح شيخ المدرسة فى القرن الثالث عشر الهجرى على نسله ومن بعدهم على طلبة العلم من أتباع المذهب الشافعى فى القدس⁽⁹⁾.
- 7- مكتبة المدرسة الصلاحية: أوقفها صلاح الدين الأيوبى فى 13 رجب 588هـ⁽¹⁰⁾.
- 8- مكتبة المدرسة الجاولية: أوقفها نائب القدس الأمير علم الدين الجاولى 715 هـ/1315م⁽¹¹⁾.
- 9- مكتبة المدرسة التنكيزية: أوقفها نائب دمشق الأمير تنكز الناصرى سنة 729 هـ/1328م. كانت مكتبتها من المكتبات الغنية بالكتب على المذاهب الأربعة، استولت عليها إسرائيل فى 24/6/1969م وحولتها إلى موقع عسكري⁽¹²⁾.
- 10- مكتبة آل قطينة: هى المكتبة الحنبلية الوحيدة فى القدس، وتشتمل على أربعة آلاف مجلد، منها ثمانمائة مخطوط فى مختلف فنون المعرفة، وقد اختفت هذه المكتبة بعد الاحتلال عام 1948م⁽¹³⁾.
- 11- مكتبة الشيخ أحمد بن يحيى: (المعروف بالموقف) وهو ينحدر من أصول مغربية، كان مفتى الحنفية والمدرس بالأقصى (ت 1171هـ/1757م)، أوقف كتبه صدقة جارية على طلبة العلم⁽¹⁴⁾.
- 12- مكتبة البديرى: أوقفها الشيخ محمد بدير المقدسى (ت 1220هـ/1805م)، وهو أحد علماء القدس الكبار بموجب حجة شرعية مؤرخة فى 19 ذى الحجة سنة 1205هـ/1790م، وكانت تضم ألف مخطوط⁽¹⁵⁾.
- 13- مكتبة عبد الله مخلص (ت 1947م): أحد علماء التاريخ والآثار، كانت تشتمل على مائة وعشرة مخطوطات إلى جانب أكثر من 300 مجلد، وقد نقلت إلى دير القربان فى عام 1948م، غير أنها ضاعت تحت الأنقاض بعد نسف الصهاينة للدير⁽¹⁶⁾.
- 14- مكتبة ابن قاضى الصلت: وهو شرف الدين بن محمد الشهير بابن قاضى الصلت (1040هـ/1630م) أمام المسجد الأقصى، أوقف كتبه سنة (1700 هـ/1598م) التى تضم كثيرا من الكتب المشهورة فى مختلف حقول الثقافة الإسلامية⁽¹⁷⁾.

15- مكتبات الزوايا: ومنها مكتبة الزاوية النقشبندية التي كان يؤمها حجاج باكستان، وزاوية الهنود للحجاج القادمين من الهند، والزاوية القادرية لحجاج أفغانستان، وكل زاوية لها مسجد وغرف نوم وخزانة كتب ولها أوقاف تتفق منها⁽¹⁸⁾.

لقد كانت مكتبات القدس الوقفية مشرعة الأبواب لطلبة العلم والزوار الوافدين إلى القدس من المغرب، ومصر، والسند، وأفغانستان، وسمرقند، والبلقان، وإسطنبول، ومن مختلف أنحاء العالم الإسلامي للانتفاع بتلك المكتبات، ومن يحاضر في مدارس القدس وزواياها من كبار العلماء⁽¹⁹⁾.

لقد كانت العقارات الموقوفة على مكتبات القدس منتشرة في جميع أنحاء فلسطين والأقطار الإسلامية، ومنها ما كان في بلاد الروم، فهناك على سبيل المثال 750 وثيقة وقفية تنص على أن أهل الخير من حكام وعلماء ونساء وأهل قدر أوقفوا أموالاً وعقارات على المؤسسات الدينية والثقافية والاجتماعية في القدس⁽²⁰⁾، وهناك أيضاً 52 عقاراً مثلاً موقوفاً على المدرسة الأشرفية⁽²¹⁾.

أجل لقد مثلت مكتبات القدس الأطياف الفقهية السائدة فضلاً عن اتجاهات الطرق الصوفية المتعددة، إضافة إلى اشتراك كثير من الأجناس من أبناء الإسلام من عرب، ومغاربة، ومصريين، وشاميين، ومماليك، وأتراك، وهنود⁽²²⁾... في دعم تلك المكتبات من خلال تحبيسهم الأموال والعقارات والمزارع للإنفاق عليها، فهي بحق تجسد روح التعايش والتمازج بين الأجناس والتواصل بين المذاهب والطوائف المختلفة، وتؤشر إلى اهتمام الإسلام بالعلم والحرص على تعميم المعرفة ونشر العلوم.

ب- المكتبات غير الإسلامية:

كما تنافس المسلمون من حكام ومحكومين في بذل الأموال ووقف الأوقاف لتعزيز الهوية الإسلامية للمدينة المقدسة، كذلك تبارت الجماعات والنول غير المسلمة في تعزيز وجودها في هذه المدينة المقدسة مستغلة روح التسامح لدى المسلمين واحترامهم أهل الشرائع السماوية. وقد عكست مقتنيات الكنائس والأبيرة والكنس وأوقافها في بيت المقدس عالمية هذه الأوقاف التي شاركت فيها الدول والأفراد من مختلف أنحاء أوروبا الغربية والشرقية على حد سواء، فضلاً عن النصارى واليهود في العالم الإسلامي؛ وهذا مما يفسر هذا التنوع والتعدد في اللغات التي كتبت بها مقتنيات تلك المكتبات والتي زادت عن إحدى عشرة لغة (اللاتينية، والسريانية، والحشية، والروسية، والعبرية، والإنجليزية، والفرنسية، والإيطالية، والألمانية، والتركية، والعربية... وغيرها). ومن أبرز تلك المكتبات التي تعكس من خلال مسمياتها هذا التنوع والتعايش والتسامح في هذه المدينة ما يأتي:

1- مكتبة الفرانسيكان: تأسست عام 1561م، وهى مكتبة عامة، تعد فى نظر بعض الباحثين من أغنى مكتبات العالم بما تحويه من وثائق تتعلق بالقدس التى حافظ عليها الرهبان منذ أكثر من سبعة قرون، ويبلغ عدد كتبها 42000 مكتوبة بلغات مختلفة، كما تحتفظ بمجموعة من المخطوطات النادرة والشمينة، منها 454 فرمانا تركيا تتعلق بكنيسة القيامة وأديرة أخرى⁽²³⁾.

2- مكتبة البطريركية الأرثوذكسية (دير الروم): يوجد فيها (2400) مخطوط فى إحدى عشرة لغة⁽²⁴⁾.

3- مكتبة دير الأرمن (دير مار يعقوب): بنى سنة 1165م، وفيه أكبر مجموعة من الوثائق الأرمنية القديمة فى العالم، يرجع بعضها إلى القرون المسيحية الأولى، وقد أسست فى الدير عام 1929م مكتبة أرمنية ضخمة فيها أكثر من 60 ألف مجلد، منها 3700 وثيقة مخطوطة⁽²⁵⁾.

4- مكتبة دير السريان (دير مار مرقص): من أقدم المكتبات فى القدس، ومخطوطاتها بعضها مكتوب بالعربية والتركية⁽²⁶⁾.

5- مكتبة بطريركية اللاتين: تأسست عام 1848م، تضم 43 ألف مجلد بلغات أجنبية مختلفة⁽²⁷⁾.

6- مكتبة القديسة آن: تأسست عام 1883م، لخدمة الباحثين فى تاريخ الكنيسة الشرفية، تشتمل على أربعين ألف مجلد معظمها باللغة الفرنسية، إضافة إلى اللغات الأوربية الأخرى⁽²⁸⁾.

7- مكتبة بطريركية الروم الكاثوليك: تأسست عام 1890م، يوجد فيها ثلاثة آلاف كتاب بلغات مختلفة⁽²⁹⁾.

8- مكتبة كنيسة القديسة مريم، فضلا عن عشرات المكتبات التى لا يتسع المجال لذكرها مثل مكتبة دير الدومنيكان، والآباء البيض، ودير السلطان الذى حوى كتباً باللغة الحبشية⁽³⁰⁾.

ويندر أن يوجد دير أو كنيسة أو كنيس لا توجد فيه مكتبة وأوقاف تمده بالعون للاستمرار فى أداء رسالته.

لقد كانت تغذى هذه المكتبات العامة أوقاف عدة داخل القدس وفلسطين والأقطار الأوربية الغربية والشرقية.

لقد أحدثت أوقاف المكتبات فى بيت المقدس نهضة علمية فريدة فى المدينة المقدسة؛ إذ أصبحت محط أنظار العلماء وطلبة العلم والحجاج من أبناء الشرائع السماوية الثلاث؛ وهو مما ترتب عليه مزيد من التمازج والتعايش بين سكان هذه

المدينة المقدسة ذات الصبغة الروحية العالمية، فكانت أوقاف القدس الإسلامية والنصرانية بشكل خاص تتفق على عشرات الآلاف من أبناء تلك المدينة من خلال عملهم في خدمة تلك المكتبات، وكان في معظم المكتبات خازن، وناسخ، ومترجم، ومناول، ومجلد، وقد حددت وثائق الوقف بشكل مفصل في العصر المملوكي واجبات من يعمل في خدمة المكتبات، وحددت على سبيل المثال راتباً شهرياً للخازن من ريع الوقف المخصص للمكتبة.

لقد ساعد تنوع الطوائف والجاليات المقيمة في القدس من مختلف الأجناس والأديان والمذاهب على ازدهار حركة الترجمة في المدينة المقدسة، وتبادل المؤلفات، والتواصل الثقافي والتعايش العلمي بين الجميع، فمن أشهر المترجمين الذين ظهروا في القدس خاصة في مكتبات الأديرة والكنائس: الأب إيوستيمو كاستلاني (Eustimio Castellani) والأب جيرولامو جولوبوفتش (Girolamo Golubovich)، ويوسف أسطفان السرياني وغيرهم⁽³¹⁾.

إن تعدد مكتبات الأديرة والكنائس يعكس الحرية الدينية التي أتاحتها المجتمع الإسلامي في القدس لعلماء تلك الطوائف الذين انصرفوا للتأليف ونسخ المخطوطات. وقد تناقست الطوائف فيما بينها في جمع ونسخ المؤلفات القيمة ونسخها، حتى إن طائفة كاليعاقبة قد حرصت على جمع ما يمكن جمعه من كنوز المعرفة، وإعداد مكان خاص لعرض تلك الكتب وتقديمها للقراء تشجيعاً منهم للحركة العلمية في القدس. ويذكر أحد الحجاج النصاري الذين زاروا القدس في العصر المملوكي أن كنيسة القديسة مريم بجوار كنيسة القبر المقدس كان بها مكتبة رائعة، وأن مكتبة القبر المقدس التي أنشأها الروم الأرثوذكس كانت زاخرة بالمعارف الإسلامية والمسيحية كافة⁽³²⁾.

2- الأوقاف الخيرية على بيوت العبادة والتعليم:

تكاد معظم أرض فلسطين تكون وفقاً على المسجد الأقصى والمساجد الأخرى في المدينة؛ إذ كان ينفق من هذه الأوقاف - على سبيل المثال - في عام (1058 هـ/1648م) على مائتين وأربعين محراباً وسبع مدارس للحديث وعشر للقرآن وأربعين مدرسة وخانقاه لسبعين مدرسة صوفية، فضلاً عن 800 ثمانمائة إمام وواعظ يعملون في الحرم والمدارس، وخمسين مؤذناً، وعدد كبير من مرتلي القرآن الكريم للمصاحف الموقفة على الأقصى ومنها: أربعة سلطان المغرب أبو الحسن المريني الذي عين لقراءتها عندما أوقفها عام (745 هـ/1344م) صباح كل يوم ثمانية عشر نفساً منهم خمسة عشر من حفاظ القرآن الكريم على أن يكونوا من المغاربة المالكين وخادمان من المسلمين وأوقفت على ذلك عدة مرافق في مدينة الرملة الفلسطينية⁽³³⁾.

ولعل المتأمل لوثائق المتحف الإسلامى فى القدس يجد 750 وثيقة معظمها وقفيات أوقفها أصحابها على المؤسسات الدينية والثقافية⁽³⁴⁾، ناهيك من الوثائق المتعلقة بأوقاف أكثر من (59) تسع وخمسين كنيسة وديرا وكنيسا لليهود والنصارى، فقد ذكر مجير الدين الحنبلى أن اليهود امتلكوا كنيسا وأوقافا خاصة بهم، وقد نصت الوثيقة رقم 46 من وثائق المتحف الإسلامى فى القدس على أنه كان من ضمن أوقاف كنيسة القيامة حمامات عامة، منها حمام البطريرك فى القدس الذى استأجره الشقيقان داود بن نصر وأحمد بن نصر بتاريخ 19 محرم (747هـ/ 1346م) بمبلغ 13 درهم فضة نقرة يوميا، عشرة دراهم أجره الحمام وثلاثة لتتظيفه، وتسلم المؤجر منها سلفا مبلغا قدره 300 درهم أجره شهر كامل⁽³⁵⁾.

وقد كانت الأديرة والكنائس والكنس اليهودية تدعم أوقافها من مختلف أرجاء العالم من روسيا، وألمانيا، وإيطاليا، وإسبانيا، ومن مصر والشام، وأوربا الشرقية...⁽³⁶⁾، وقد كانت دولية التمويل. فقد اشترى البطريرك كيرلس الثانى (1261-1289هـ/ 1845-1872م) الدور الواقعة فوق باب العمود المعروفة بدور خضير من عائلة الخالدى فعمرها وأوقفها لأجل سكنى الأرثوذكس الوطنيين وسماها دير اسبيريدون، كما بنى القنطرة التى تصل الدير المركزى بالبطريركية⁽³⁷⁾. كما نشط فى عام (1252 هـ/ 1836م) الروم الرثارتونكس فى إصلاح الطريق من البطريركية الأرثوذكسية حتى كنيسة القيامة، كما اشترى بيتا كبيرا مجاورا لكنيسة القديس ايثيموس ودفعوا خمسين ألف قرش (50000) ثمنها له من تبرعات كان أحضرها من موسكو كبير أساقفة الروم الأرثوذكس فى الناصرة⁽³⁸⁾.

ومن الملاحظ أن أوقاف البطريركية الأرثوذكسية هى من أكبر الأوقاف، وهى تتوزع بين فلسطين وأوربا، وقد استهدف اليهود هذه الأوقاف فى القدس وفلسطين منذ أواخر عام (1368هـ/ 1948م)؛ إذ بيع قسم كبير منها أو أجزأجيرا لمدة طويلة تصل إلى 99 سنة أو هدم أو صودر.

وقد بلغ عدد المدارس الإسلامية ما بين القرن الخامس الهجرى حتى القرن الثانى عشر الهجرى حوالى سبعين مدرسة وقفية، كلها تقدم التعليم بالمجان من ريع أوقافها الإسلامية، بل إن بعضها كان يقدم زواتب شهرية وإعانات عينية لطلابها.

ومن هذه المدارس عشر وقفها سلاطين، وثلاثون وقفها أمراء أو حكام، وثلاث وقفها أميرات أو نساء ثريات، وعشر وقفها تجار، وأربع وقفها علماء. وكانت هذه المدارس مدعومة من منظومة من الأوقاف منتشرة فى جميع أنحاء فلسطين وفى بلاد الشام، ومنها ما كان فى بلاد الروم وغيرها، كان منها: المزارع والحمامات العامة، والخانات، والطواحين، والمعاصر، والأفران، وكثير من القرى⁽³⁹⁾.

وكانت الأوقاف على المدارس تتفاوت بطبيعة الحال حسب مكانة الواقف وثروته. ومن الأمثلة على ذلك المدرسة الصلاحية التي أوقفها صلاح الدين الأيوبي؛ إذ أوقف عليها أوقافا سخية كان منها: سوق العطارين في القدس، ووادي سلوان، وحمام عام، وخان، وبئر أيوب وقرية نعليا وغيرها⁽⁴⁰⁾.

ويدلنا سجل الأراضي العثمانية رقم 602 على أنه كانت 28 قرية منها 22 قرية تابعة لغزة، و14 مزرعة وحمام ودكاكين ومعصرة وخان وفرن بغزة كانت موقوفة من قبل السلطان المملوكي "قايتباي" على المدرسة الأشرفية التي تقع في الرواق الغربي لحرم بيت المقدس، بل إن هناك من يذكر أن هناك 52 عقارا كانت موقوفة على هذه المدرسة⁽⁴¹⁾.

ومن المدارس التي كانت غنية بأوقافها المدرسة الفارسية والمدرسة التنكيزية والداودارية؛ إذ كانت قرى طولكرم، وبيت نبالا، وحجلا، وطبرس، وعين قينية قرب رام الله، إلى جانب كثير من الخانات والطواحين والدكاكين⁽⁴²⁾.

وفي العصر المملوكي تمكن اليهودي الشهير موسى بن نخمان من إحياء طائفة اليهود المعلمين في القدس، وبنى مركزا خاصا أوقفه لتعليم اليهود، وبنى المعبد الذي يحمل اسمه إضافة إلى ما يعرف بالأكاديمية اليهودية في القدس التي تخصصت في تعليم اليهود⁽⁴³⁾. علما بأن معظم اليهود الذين تفرغوا لدراسة التوراة والتلمود كانوا يعيشون على المساعدات الوقفية المقدمة إليهم من مختلف أنحاء العالم⁽⁴⁴⁾. كما كانت المدارس النصرانية والملحقة بالأديرة والكنائس تقدم خدماتها للطوائف النصرانية المختلفة، وكانت مفتوحة لأبناء المسلمين خاصة الفقراء والأيتام منهم.

لقد قدمت أوقاف القدس التعليمية خدماتها لشريحة كبيرة من الطلبة من مختلف أرجاء المعمورة من المغرب حتى السند، ومن سمرقند إلى مصر، فضلا عن بلدان أوروبا المختلفة، فكانت بحق عالمية في أهدافها، إنسانية في خدماتها.

3- الأوقاف الخيرية العامة:

أ- أوقاف الطعام والكساء:

لعل وقف تكية خاصكى سلطان الذي أوقفته زوج السلطان سليمان القانوني عام (959هـ / 1551م) من أهم الأوقاف الخيرية في فلسطين على العموم والقدس على الخصوص؛ إذ كان يشتمل على مطبخ يوزع منه الطعام وعلى مسجد ورباط ومدرسة. وقد انتشرت أوقاف التكية في خمسة سناجق من بلاد الشام، وبلغ عدد القرى والمزارع الموقوفة على التكية، 34 قرية ومزرعة⁽⁴⁵⁾. فكانت اجتماعية متكاملة تقدم الطعام والمأوى والتعليم.

أما وقف بركة سليمان فهو أول وقف وقفه سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في فلسطين على فقراء بيت المقدس⁽⁴⁶⁾، كما أوقف العالم الزاهد المغربي شعيب بن محمد بن شعيب المعروف بأبى مدين في عام 1320 الوقف المعروف باسمه (وقف أبى مدين)، وكان يهدف من وقفه هذا إلى تلبية حاجات المغاربة الجدد خاصة الفقراء منهم. فأمر بأن يخيز لكل منهم رغيفان يوميا خلال الأشهر الحرم، وأن تقدم وجبة من الطعام في الأعياد الإسلامية الرئيسية، إضافة إلى الإنفاق من أموال الوقف على أكفان أموات فقراء المغاربة وجنائزهم، وكان يؤتى بالأموال اللازمة لهذه الأوجه من أرضه الزراعية وممتلكاته في عين كارم، ومن أملاكه على باب السلسلة⁽⁴⁷⁾.

أما الفرنسي سكان في كنيسة المخلص فكانوا في عام 1834م يقومون بتوزيع الخبز أسبوعيا على نحو ثمانمائة مسيحي ومسلم في مدينة القدس⁽⁴⁸⁾. وكان معظم يهود القدس يعيشون على ما يسمونه الـ (Halakka) وهي صدقات كانت تجمع من يهود الشتات لمساعدة مجتمعهم في المدينة المقدسة، كما قام المليونير اليهودي موسى مونيغور (1274هـ/1857م) بجهود كبيرة في رعاية فقراء اليهود⁽⁴⁹⁾.

وفي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي اشترى دير الأرمن في القدس بعض العقارات وأوقفها على فقراء رهبان طائفة الأرمن القاطنين في دير مار يعقوب في القدس⁽⁵⁰⁾.

ولعل عائلة العلمي من الأسر التي تركت بصمات واضحة في الثلث الأول من القرن العشرين وتحديدا في عام (1351هـ/1932م)، من خلال وقفها الأوقاف على فقراء بيت المقدس⁽⁵¹⁾.

وهكذا.. قدمت أوقاف القدس الدليل والبرهان على وسماحة الإسلام والمسلمين، وهكذا عبرت أوقاف القدس عن عالميتها، وإنسانيتها وروحانياتها، ومحبتها للجميع بدون تفرقة بين لون أو جنس أو دين، وهكذا نجح التعايش من خلال أعمال البر والإحسان، وقدم صورة مضيئة في مسيرة تاريخ الإنسانية، فالقدس حقا مدينة السلام والرحمة والحرية، وهي البقعة الوحيدة إبان حكم المسلمين التي تجاوزت فيها الديانات السماوية الثلاث من دون تناحر أو تحارب ردحا من الزمن. فهل تتعلم البشرية درسا من تجربة هذه المدينة ليعم الأمن والسلام بين أتباع الديانات الثلاث؟

ب- رعاية الأيتام:

لقد حاولت أوقاف القدس بمختلف أطيافها أن تقدم الرعاية الشمولية لسكان القدس، وكل من يحج إليها؛ إذ تنوعت الخدمات الوقفية التي تتلمس الجوانب الضعيفة في

المجتمع المقدسي، ومن تلك الخدمات رعاية الأيتام والأخذ بأيديهم إلى بر الأمان، فانتشرت المدارس والور الخاصة برعاية هذه الشريحة الاجتماعية التي أوصت بها الديانات السماوية الثلاث، فكان على سبيل المثال تخصص مرتبات شهرية للأيتام في المدارس الإسلامية الوقفية، فضلا عن الكسوة، كما هي الحال في المدرسة الباسطية للأيتام التي كان يتقاضى فيها الطالب في عام (834هـ/1430م) 15 درهما شهريا، وكان يعطى اليتيم في عيد الفطر 30 درهما بدل كسوة⁽⁵²⁾.

ومن المدارس التي قدمت خدمات جليلة للأيتام المدرسة التنزيقية التي بناها نائب حاكم سوريا عام 1328م؛ إذ احتوت على أربع قاعات للمحاضرات والصلاة، فضلا عن خنقة لاثني عشر متصوفا، ومدرسة للأيتام، ومن ثم كانت الدراسة والصلوات والمدائح الصوفية وأعمال البر تمارس من تحت سقف واحد، كما اشتهرت في القدس دار الأيتام الإسلامية التي لا تزال قائمة حتى اليوم⁽⁵³⁾.

ولم تقتصر رعاية الأيتام على أوقاف المسلمين، بل تعدتها إلى مختلف الطوائف الدينية، فكانت مثلا، مدرسة "طائفا قومي" الألمانية ميمتا خاصا للبنات، وقد أدت خدمات كثيرة لسكان فلسطين، كما قامت "كلية شميدت" للبنات التي تأسست عام (1304هـ/1886م) من قبل الجمعية الألمانية الكاثوليكية للأراضي المقدسة، وغايتها تعليم البنات العربيات وتدريبهن على الشؤون المنزلية حتى مستوى الثانوى العالى، وكان عدد الطالبات عام (1365هـ/1945م) يتجاوز الأربعمئة والخمسين طالبة يعيش منهن نحو سبعين في القسم الداخلي.

وهناك دار الأيتام السورية التي أقامها القس "يوحنا لودفيغ شنلر" بتاريخ 11/1860م اعتمادا على المساعدات التي كانت تأتي إليها من ألمانيا، وكان طلابها من الفتيان والفتيات الأيتام، وقد اشتهرت بتعليم الصناعات كالنجارة والحدادة والخياطة والطباعة، وصنع الخزف وشغل الأحذية⁽⁵⁴⁾.

وهكذا.. كانت الأوقاف الإسلامية والمسيحية في القدس فضلا عن الدعم الدولي لتلك الأوقاف نموذجا رائعا للتعاون الدولي في خدمة الإنسان وصيانة كرامته، من خلال تلبية حاجاته النفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية عن طريق رعاية الأيتام وتعليمهم وتأهيلهم ليأخذوا دورهم في المجتمع.

4- الخدمات الوقفية لحجاج بيت المقدس من غير المسلمين:

كان يجتمع في بيت المقدس أعداد كبيرة من النصارى واليهود لزيارة أماكنهم المقدسة والاحتفال بمواسمهم الدينية، وتشير سجلات الرهبان أن عدد الحجاج بلغ في بعض السنين ما بين العشرة والاثني عشر ألفا، فقد بلغ عدد الحجاج الأحباش النصارى في عام (886هـ/1481م) ثلاثة آلاف⁽⁵⁵⁾، وزاد عدد الحجاج القادمين

من اليونان والجزر اليونانية والأناضول وأرمينيا ومصر وسوريا عن الألفى حاج فى عام 1784م، وفى عام 1884م كان هناك 4500 حاج أرثوذكسى، و600 حاج من الأرمن والقبط والسريان⁽⁵⁶⁾، فضلا عن الكاثوليك والموارنة؛ إذ كان معظمهم ينزلون أوقاف الكنائس والأديرة والنزل المعدة لهم التى منها نزل القديس يوحنا، كما أنهم كانوا يفيدون من الخدمات التى تقدمها الأوقاف الإسلامية خاصة فى المجالات الصحية، والخدمية كالمياه، والإنارة، والطرق وغيرها، وقد تبين الوثائق العائدة إلى عام 1611م، أن بساتين الأثمار حول القدس حولت أوقافا من أجل توفير المال لتأمين الماء والإنارة لعبرى السبيل، كما قام الفاضل بوقف كل حى المغاربة لتوفير العون والخدمات لحجاج شمال إفريقيا، فضلا عن فقراء المدينة المقدسة⁽⁵⁷⁾.

ويذكر الرحالة فيلكس فابرى الذى زار القدس سنة (888هـ/1483م) الحفاوة التى كان يجدها الحجاج النصارى من المسلمين عند زيارتهم القدس، والخدمات التى كانت تقدم لهم مجانا من أوقاف هذه المدينة أو من خزينة الدولة، فقد ذكر أن مراكب الحجاج القادمين من أوربا كانت ترسو فى ميناء يافا، حيث يكون فى استقبالهم مندوبون عن نائب القدس، ونائب غزة، وكشف الدولة، ورئيس دير جبل صهيون، وقد هياؤا لهم كل الترتيبات لحمايتهم وتسهيل مهمتهم فى الأراضى المقدسة⁽⁵⁸⁾.

ولم تكف الدولة الإسلامية بذلك، فقد خصصت لهم ترجمة يساعدونهم على زيارة الأماكن المقدسة وحمايتهم، واستتجار البيوت اللازمة لهم فى القدس، كما كان هناك الأدلاء من المسلمين والنصارى ويطلق عليهم المكاريون، وكان يشترط فى هؤلاء الترجمة معرفة اللغات الأوربية، وفى المقابل فإن رئيس الترجمة يتقاضى أجره رمزية من الحجاج لمساعدته على أداء مهمته⁽⁵⁹⁾.

وحتى يسهل سلاطين الممالك تنقل الحجاج النصارى من يافا إلى القدس قاموا فى سنة 813هـ/1410م بتوسيع الطريق وإزالة ما به من عقبات، وزادوا فى سعته بحيث يمر منه عشرة فرسان متواكبين⁽⁶⁰⁾.

وقد كان فى القدس ثمانية وعشرون سبيلا ما زالت آثارها حتى الآن موجودة لتوفير المياه لزوار المدينة المقدسة أقيم معظمها فى العصرين الأيوبي، والمملوكى، ومن أشهرها (وقد استمرت فى تقديم خدماتها لزوار المدينة المقدسة حتى أواخر الحكم العثمانى)، سبيل السلطان المملوكى إينال (857-865هـ/1461-1483م)، كما تم إنشاء سبيل السلسلة فى عام (943هـ/1536م) خصص لسقيا سكان المدينة المقدسة والحجاج وعابرى السبيل؛ ومنها سبيل قايتباى، وسبيل شعلان، والبديرى، والكأس، وقاسم باشا⁽⁶¹⁾. هذا ويحتفظ المتحف الإسلامى فى القدس بكثير من

الوثائق المتعلقة بوقف الماء، ومنها الوثيقة 77 من وثائق المتحف الإسلامي في القدس التي تنص على وقف عشرة طواحين وسوق الليل ومعها بئر على السقاية في القدس⁽⁶²⁾.

ويذكر المرحوم كامل العسلي أن في القدس ستة عشر خاناً تقدم خدماتها الوقفية لزوار المدينة المقدسة، منها على سبيل المثال: خان السبيل الذي بناه الظاهر بيبرس سنة (662هـ/1263م) لمن يرد القدس من الزوار المشاة؛ إذ أوقف عليه عدة قرى، فضلاً عن طاحون وفرن، فقد كان هذا الخان يقدم الخبز للمقيمين فيه من المسافرين والحجاج بل تعدى الأمر إلى أن يصرف من ريع هذا الوقف لشراء الأحذية للحجاج المشاة⁽⁶³⁾. ومنها رباط قلاوون الذي أوقفه السلطان قلاوون عام (681هـ/1282م) على الفقراء من زوار القدس.

أما خان القبط 1839م فقد بناه المطران أبراهام، وهو يحتوى على اثنتين وسبعين غرفة لخدمة الحجاج الأقباط⁽⁶⁴⁾. وفي عام (1175هـ/1761م) قام دير الأرمن بشراء دارين من عبد الله أفندي في القدس وأوقفهما على فقراء رهبان طائفة الأرمن القاطنين دير مار يعقوب في القدس⁽⁶⁵⁾. وفي عام 1857م قام المليونير اليهودي موسى مونتيغور ببناء صف من منازل الصدقة للعائلات اليهودية الفقيرة في مواجهة صهيون⁽⁶⁶⁾.

وزيادة في تأمين سلامة الحجاج أمنت الدولة الإسلامية لهم العلاج في المصحات الإسلامية الوقفية مقابل رسم رمزي يمكنهم من المعالجة في البيمارستان الصلاحي لمدة عام بدون أن يحصل منهم مبالغ إضافية. وقد زار الرحالة ناصر خسرو القدس سنة 1047م ووصف مستشفاها بأنه مستشفى عظيم يصرف لمرضاه العلاج والدواء، وله وقف يأخذ الأطباء مرتباتهم منه. وقد استمر هذا البيمارستان العظيم الذي كان يتسع لألف مريض في عمله حتى عام (1286هـ/1869م)⁽⁶⁷⁾.

ومن أبرز المؤسسات الوقفية النصرانية واليهودية التي أنشئت في القدس وكانت تقدم خدماتها لكل الطوائف: مستشفى ماريو حنا لأمراض العيون الذي أسس منذ الحقبة الصليبية، والمستشفى الروسي الذي بناه الروس سنة (1276هـ/1859م)، ومستشفى القديس لويس (المستشفى الفرنسي) الذي بنى عام (1298هـ/1880م)، ومستشفى الإرسالية الإنجليزية الذي بناه مطران الإنجليز جورج فرنسيس سنة (1305هـ/1887م)، والقصد منه مساعدة اليهود بالدرجة الأولى، والمستشفى الألماني الذي يعد من أكبر المستشفيات في المدينة بنى عام (1312هـ/1894م)، ويسميه المغاربة مستشفى المجيدى، والمستشفى الإيطالي الذي بنى عام 1910م، ومستشفى المجانين، أسسته جماعة يهودية تدعى عزران نشيم، ومستشفى البرص

المخصص لمداواة المجذومين وقد بنى عام (1387هـ/1967م)، ودار الاستبارة (مستشفى القديس يوحنا) منذ العهد الصليبي، وظلت قائمة تؤدي دورها في خدمة الحجاج النصارى طيلة القرن الرابع عشر (727هـ/1322م) (68)، وخلال فترة الانتداب البريطاني أوقفت أمينة الخالدي أراضى وأملاكاً لبناء مستشفى (69). وكان أبناء طائفة الفرنسيكان يخصصون أطباء لمعالجة أبناء طائفتهم وكانوا يمدونهم بالأدوية (70)... إلى غير ذلك من المؤسسات الصحية التى جشئت لخدمة زوار المدينة المقدسة وأهاليها، بغض النظر عن ألوانهم أو أجناسهم أو عقائدهم.

وتحت تزايد أعداد النصارى الوافدين على القدس ورغبتهم فى إبراز معالم مقدساتهم، سمح المماليك للنصارى ببناء كنيسة المهد فوق مهد المسيح عليه السلام؛ فجمعوا الأموال لبنائها من جميع أنحاء العالم المسيحى فى سنة 813هـ/1410م فى عهد السلطان فرج بن برقوق. وفى سنة 919هـ/1512م، أصدر السلطان قانصوة الغورى مرسوماً نقشه على بلاطة ألصقها على باب كنيسة القيامة، أمر فيه معاملة النصارى الملكانيين واليعاقبة والقطب معاملة حسنة (71).

ومن الملاحظ أن الطوائف النصرانية بدأت تتنافس منذ مطلع القرن التاسع عشر فى بناء الأوقاف لخدمة زوار بيت المقدس، وفى عام 1252هـ/1836م أقام الأرثوذكس مطبعة ونزلاً للحجاج وخزانة كبيرة للمياه، كما اشترى الأقباط من آل العلمى طاحونة سمس مع بستان كبير ودفعوا ثمنًا لذلك كله ثمانية آلاف قرش، وبنوا على كامل الأرض بعد إزالة المطحنة نزلاً للحجاج الذين يفدون من مصر كل سنة، وقد كلف هذا الوقف حوالى نصف مليون قرش (72).

حماية الدولة الإسلامية أوقاف أهل الذمة:

عندما تسلم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مفاتيح المدينة المقدسة رفض الصلاة فى كنيسة القيامة حتى لا يأخذها المسلمون منهم ويبنوا مكانها مسجداً، وذلك مراعاة لحرمة الأماكن المقدسة عند غير المسلمين التى حرص الإسلام على حمايتها وعدم التعرض لها ولمن يقصدها، بل إن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) قال من أذى ذمياً فقد أذاني (73). وعلى ضوء هذا التوجيه، حرص المسلمون حكاماً ومحكومين على عدم المساس بالحرية الدينية لأهل الذمة ومعاملتهم بكل رفق على مر التاريخ. وكان حكام المسلمين يرفضون كل الرفض الاعتداء على أماكن العبادة مهما كانت الظروف، فعلى سبيل المثال، عندما حرر صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس عام 583هـ/1187م أشار عليه بعض أصحابه أن يهدم كنيسة القيامة كي لا يبقى لنصارى الغرب حجة لغزو البلاد المقدسة، لكنه رفض مجرد مناقشة الفكرة وأمر المسلمين بالمحافظة عليها وعدم مساسها بسوء. وتعدى الأمر ذلك إلى اتخاذ صلاح الدين الأيوبي عالماً مسيحياً هو يوسف بابييط مستشاراً له فى الشؤون المسيحية (74).

وفي العصر المملوكي وتحديدًا سنة (919هـ/1513م) أصدر السلطان قانصوة الغوري - كما سبق - مرسومًا نقشه على بلاطة ألصقها على باب كنيسة القيامة أمر فيه بمعاملة النصارى بالحنى، كما كان السلطان محمد بن قلاوون قد أصدر عدة مراسيم للمحافظة على ممتلكات الطوائف الوقفية المختلفة، جاء في أحدها الذى يتعرض لطائفة الأرثوذكس: بأن لا يتعرض أحد إلى ديرهم ولا لكنائسهم ولا لشيء من أرضهم.

وقد رد السلطان الملك الظاهر أبو محمد سعيد جقمق دير مار يعقوب للأرمن بتاريخ (850هـ/1446م) وقد كان قرار السلطان بعودة الدير إلى الأرمن مصدر سعادة كبيرة لهم حتى إنهم علقوا هذه الوثيقة على أحد جدران أديرتهم بالقدس.

وتشير سجلات المحكمة الشرعية فى بيت المقدس إلى أن القاضى نظر فى شكوى قدمها إليه بطريرك الأرمن والذى حكم بحقهم فى الدير بعد أن استمع إلى شهادات الطوائف الأخرى كالقبط والحش والسريان⁽⁷⁵⁾.

وفى عهد السلطان الملك الأشرف قايتباى (871-899هـ/1468-1496م) أسلم أحد اليهود هو وأمه، فأوقفت الأم منزلها الواقع فى الحى اليهودى ليكون مسجدا للمسلمين، فلجأ المسلمون فى المدينة إلى المحكمة الشرعية سنة 878هـ/1475م ليجلوا اليهود من مجاورة المسجد الجديد، وإزالة كنيس اليهود، وحكمت محكمة القدس لصالح المسلمين، ولكن اليهود استأنفوا الحكم عند سلطان مصر، فنقضت محكمة القاهرة حكم القدس، وأفتت بأن لا ضير بأن يقوم المسجد بجوار الكنيس اليهودى، وأمرت بإعادة ما تهدم من بناء الكنيس على نفقة المسلمين.

ويقول الدكتور حسن ظاظا الذى أورد هذه الحادثة فى كتابه "القدس مدينة الله أم مدينة داود" أن حاخام اليهود عوبيدأدى برطينور المعاصر لتلك الأحداث قد سجلها وبعث بها فى رسالة من القدس⁽⁷⁶⁾.

فأى تسامح أعظم من هذا التسامح؟ وأى احترام للأديان وأماكن العبادة أكثر من هذا الاحترام؟ وأين هذا مما نشاهده صباحا ومساء مما يفعله اليهود فى أوقاف فلسطين والقدس على الخصوص من تحطيم للمؤسسات الوقفية بمختلف أنواعها؛ إذ دمروا المساجد والكنائس والأديرة، وحولوا كثيرا من المدارس والمساجد الإسلامية إلى مراكز للشرطة والجيش!

وعندما نشب الخلاف بين طوائف النصارى بعد حريق كنيسة القيامة فجر الأربعاء الواقع فى 30 أيلول سبتمبر 1808م على من له الحق فى إعادة إعمار الكنيسة، وبعد اعتراض الأرمن على فرمان الذى صدر من السلطان بأحقية الروم

الأرثوذكس في تعمير الكنيسة، أمر السلطان بتشكيل لجنة من سبعة قضاة تحت رئاسة شيخ الإسلام للنظر في دعوى الأرمن وقد حكمت المحكمة للأرثوذكس وحدهم من دون اشتراك الطوائف الأخرى معهم⁽⁷⁷⁾.

واعترافاً من طوائف النصارى المختلفة بعدالة المسلمين وتسامحهم نجدهم يسندون الإشراف على أقدس كنيسة عندهم ألا وهي كنيسة القيامة التي كانت تحتوى على ذخائر ونفائس وجواهر كريمة منها سيف بطرس الأكبر قيصر روسيا إلى أسرتين مسلمتين من القدس هما: أسرة جودة، وأسرة نسيبة؛ إذ كانتا تقومان بخدمة الكنيسة وحرصتها منذ زمن صلاح الدين الأيوبي وحتى اليوم، فعائلة جودة تحتفظ بالمفاتيح، وعائلة نسيبة تفتح الكنيسة في مواعيدها.

ولم يحدث طوال ثمانمائة سنة أن أخل المسلمون بواجب الأمانة أو التقصير في حماية الأماكن المقدسة ورعايتها عند كل الطوائف المسيحية أو اليهودية.

ومن الجدير بالذكر أن الجنرال اللنبي عندما دخل مدينة القدس عام 1917م، توجه لزيارة كنيسة القيامة وتسلم مفاتيحها، لكنها لم تلبث في يده مدة طويلة، فسرعان ما ردها بنفسه إلى أسرتى جودة وآل نسيبة موقناً أن إدارة المسلمين لهذه الكنيسة هي الأنسب. ومن المعلوم أن حامل مفاتيح كنيسة القيامة حالياً هو السيد عبد القادر أديب جودة⁽⁷⁸⁾.

ولعل تسمية الأقباط لأحد أديرتهم باسم دير السلطان شهادة حق على سماحة صلاح الدين والإسلام الذى يمثله، فقد رد صلاح الدين الأيوبي للأقباط أديرتهم وأملأهم بعد تحرير المدينة من الصليبيين، فأطلقوا اسم دير السلطان على إحدى هذه الأديرة الملاصقة لكنيسة القيامة من الجهة الجنوبية الشرقية وجعلوه المركز الرئيسى لطائفتهم فى القدس⁽⁷⁹⁾.

الخاتمة:

من خلال معالجة هذا الموضوع خرجت الدراسة بالملاحظات الآتية:

- 1- إن أوقاف القدس في فترة الحكم الإسلامي تمثل تجربة فريدة للتعايش بين الأجناس والتعايش بين الأديان على المستويين المحلي والعالمي.
- 2- تعد مدينة القدس من أكثر المدن في العالم أوقافا؛ إذ يوجد في كيلومتر مربع واحد (وهي مساحة المدينة داخل السور) أكثر من 274 معلما وفقيا للمسلمين واليهود والنصارى. أما في المدينة داخل السور وخارجه فقد كان هناك 240 محرابا، وثمانية وعشرون سبيلا، وستة عشر خانا، وأكثر من 170 مكتبة ملحقة بمدرسة ومسجد وكتاب، و70 زاوية صوفية، فضلا عن 59 ديرا وكنيسة نصرانية، و14 كنيسة لليهود، ناهيك من المستشفيات.
- 3- إن فلسطين تكاد تكون كلها وقف إسلام على بيت المقدس، فلا تكاد تكون مدينة أو قرية لا يكون فيها وقف للقدس، بل إن أوقاف القدس انتشرت في قارات العالم سواء للمسلمين أو لأهل الذمة.
- 4- ينذر أن نجد حاكما مسلما منذ العصر الأيوبي مرورا بالعصر المملوكي وانتهاء بالعصر العثماني لم يترك أثرا وفقيا خيريا فيها، وتعدى الأمر إلى ملوك الهند والمغرب، وكذلك نجد أوقاف الكنائس، والأديرة النصرانية، والكنس اليهودية تنتشر في أقطار شتى من العالم النصراني.
- 5- إن أوقاف القدس أسهم فيها معظم الأعراق والأجناس والأديان والطوائف والمذاهب، فكانت هناك أوقاف للأحناف والشافعية والمالكية والحنابلة، فضلا عن تلك الأوقاف التابعة لسبعين طريقة صوفية، كان ينتفع بها المغربي والكردي والمصري واليمنى والشامى والأندلسى والهندي والفارسي... كما مثلت أوقاف القدس الكاثوليكي والأرثوذكسي والبروتستانتي والأرمني والقطبي والسرياني والماروني والحبشي والألماني والإسباني والروسي والطلباني... إلخ، في لوحة من التجاور والتعايش عز نظيرها.
- 6- إن قمة التعايش بين الأديان بلغت ذروتها عندما عهد النصارى إلى المسلمين بالإشراف على أقدس بقعة لديهم ألا وهي "كنيسة القيامة"؛ إذ دفعت مفاتيحها لأسرتين مسلمتين منذ عهد صلاح الدين الأيوبي حتى اليوم، بل إن الجنرال النبي عندما دخل القدس عام 1917م أخذ المفاتيح من المسلمين ولكن ما لبث أن ردها إلى أهلها من آل جودة وآل نسيبة، إقرارا منه بعدالة المسلمين واحترامهم حرية الآخرين. كما أن المسلمين في عهد عبد الملك وولده الوليد

عهدوا إلى عشرة من النصارى وعشرة من اليهود بصناعة القناديل والفتائل والحصار للمسجد الأقصى، فى إشارة واضحة إلى سعى المسلمين لنشر المحبة والسلام وإرساء قواعد التعايش فى هذه البقعة المقدسة.

7- إن أوقاف القدس كانت تتميز بالوحدة والتنوع: وحدة الهدف؛ أى خدمة زوار المدينة المقدسة سواء أكانوا مسلمين أم غير مسلمين، بتوفير الطعام والكساء والمأوى والعلاج والتعليم، والتنوع بأن المسلمين على اختلاف مذاهبهم وأجناسهم والنصارى على اختلاف طوائفهم وأعراقهم أسهموا فى تلك الأوقاف، فكانت أوقاف القدس عالمية بكل ما تعنيه الكلمة، إنسانية فى رسالتها وفى تسامحها ومحبتها وبذلها.

8- إن أوقاف القدس الثقافية خاصة الإسلامية منها حولتها إلى جامعة عالمية مفتوحة يقصدها طلبة العلم والعلماء من مختلف أرجاء المعمورة خاصة بعد تحريرها على يد صلاح الدين الأيوبي، وغدا لا ترى فيها كما يقول العماد الأصفهاني إلا قارنا باللسان الفصيح وراويًا للكتاب الصحيح، ومتكلما فى مسألة، وذاكرا لحكم مذهبى، وسائلا عن لفظ لغوى ومعنى نحوى، أو ناشدا بنشيد.

9- تعد مكتبة الشيخ الخليلي أول مكتبة عامة يوقفها أحد أبناء مدينة القدس.

10- من أهم الأوقاف الإسلامية وغير الإسلامية فى القدس التى كانت تقدم خدمات متنوعة: وقف تكية خاصكى سلطان الذى أوقفته زوج السلطان سليمان القانوني، ووقف خان السبيل وغيرها مما كان يقدم الطعام والكساء والنعال فضلا عن أكفان الموتى للفقراء، كما كانت كنيسة المخلص فى عام 1834م توزع الخبز أسبوعيا على نحو ثمانمائة مسلم ومسيحي.

11- إن أوقاف القدس الإسلامية قدمت خدمات متميزة للحجاج النصارى القادمين من مختلف أنحاء العالم؛ إذ كانوا يستقبلون استقبلا رسميا فى يافا، كما كانت الدولة الإسلامية تعتنى بتوسعة الطرق المؤدية إلى القدس من أجل تسهيل حركتهم، كما وفرت لهم الحراسة والمترجمين، وهذا ما أكدته الرحالة اليهود والنصارى والمسلمون. ومن أبرز الأوقاف الإسلامية التى كان ينتفع بها الحجاج النصارى ثمانية وعشرون سبيلا للماء وستة عشر خانا منها خان السبيل الذى كان يصرف وقفه نعالا للحجاج المشاة، كما أن المستشفى الصلاحي الإسلامى يقدم خدماته للحجاج النصارى إلى جانب كثير من المستشفيات الوقفية التابعة للإرساليات الأجنبية التى كانت تقدم خدماتها للمسلمين والنصارى بالمجان.

12- من مظاهر عدالة المسلمين وتسامحهم حرصهم الشديد على حماية أوقاف اليهود والنصارى وعدم التعرض لها بأى شكل من الأشكال، فقد رفض

صلاح الدين بعد تحريره القدس مشورة بعض أصحابه بهدم كنيسة القيامة حتى لا يعود الصليبيون مرة أخرى إلى القدس، بل إنه رفض حتى مناقشة الموضوع، وأمر بالمحافظة عليها والإحسان إلى النصارى. كذلك خلد النصارى أوامر سلاطين المماليك التي تدعو إلى الفرق بأهل الذمة بنقشها على جدران كنائسهم وأديرتهم، ولعل تسمية مقر طائفة الأقباط بالقدس باسم دير السلطان شهادة من هذه الطائفة على عدالة الإسلام وعدالة صلاح الدين الذي رد إليهم هذا الدير بعد تحرير القدس. كما أن المحاكم الإسلامية أمرت بإعادة بناء كنيس هدمه المسلمون وأغرمتهم أثمان المنازل التي خربت على أيدي المسلمين؛ وهو مما حدا بكبار حاخاماتهم بالثناء على عدالة المسلمين.

13- إن كثرة الأوقاف الإسلامية في مدينة القدس التي أسهم فيها الرجال والنساء والعلماء والحكام والتجار وكل شرائح المجتمع الإسلامي من مختلف الأرجاء تعبر بكل تأكيد عن مكانة القدس العظيمة في قلوب المسلمين. ولعل الناظر لوثائق المتحف الإسلامي في القدس يجد الدليل والبرهان، فهناك على سبيل المثال 750 وثيقة وقفية، ناهيك من غيرها في الأرشيف العثماني ودور المحفوظات العالمية.

14- من الملاحظ أن اليهود الصهيانية قد صرفوا الوقف في المدينة المقدسة عن القصد النبيل ألا وهو فعل الخير ومساعدة الفقراء وتقديم الخدمات لزوار الأماكن المقدسة، واتخذوا منه حصان طروادة للاستحواذ على القدس وفلسطين، فعن طريق الأوقاف جعلوا لهم موطاً قنم، وما لبثوا أن سرقوا الأرض وهودوا فلسطين، وبدلوا بتدمير الأوقاف الإسلامية والنصرانية عن طريق المصادرة أو الهدم أو تحويلها إلى تكتات عسكرية أو ملاه ليلية؛ لأنها ترى في تلك الأوقاف شهادة على عروبة فلسطين وإسلاميتها، وأنها تذكرهم دوماً بأنهم لصوص وغرباء عن الأرض المقدسة.

أجل لقد أوجدت أوقاف القدس نوعاً فريداً من التعاون بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم من جانب، وبين المسلمين وغيرهم من اليهود والنصارى على اختلاف طوائفهم - أوجدت تعاوناً كان شعاره المحبة والسلام واحترام كرامة الإنسان وحرية، تعاوناً يسمو على الجنس واللون والعصبية، تعاوناً جعل من العدالة الإسلامية نبراساً له، فانتفى العنف والاحتراب، وسار الجميع صفاً في محبة وطمأنينة لخدمة الإنسان؛ إذ كانت القدس إبان الحكم الإسلامي من أكثر المدن أمناً واستقراراً.

فحري بنا تأمل هذه التجربة واستخلاص الدروس والعبر في وقت تتعرض فيه هذه المدينة المقدسة لأبشع عملية استحواذ وإقصاء لكل من هو ليس يهودياً، من خلال روح عنصرية ترفض الآخر، ولا تؤمن بأى حق لغير اليهودى في هذا المكان المقدس.

التوصيات:

- 1- الإسراع فى تنفيذ توصيات اتحاد الجامعات الإسلامية والعربية فى تخصيص مقرر يحمل اسم "تاريخ القدس" ليكون مطلباً عاماً فى الجامعات الإسلامية والعربية لتعريف أبناء الأمة بتجربة هذه المدينة الفريدة فى التعايش والتسامح بين الأديان، وما ترتب عليها من أمن وسلام ورخاء إبان الحكم الإسلامى، فضلاً عن تأكيد عروبة القدس وإسلاميتها.
- 2- إنتاج فيلم تسجيلى عن أوقاف بيت المقدس والتعريف بالدور الإنسانى الذى قامت به عبر حقب التاريخ الإسلامى. وأقترح أن تتولى جامعة الشارقة بالتعاون مع دائرة الأوقاف وتلفزيون الشارقة وكلية الاتصال هذه المهمة السامية.
- 3- العمل على تأسيس جمعية دولية تشارك فيها الهيئات والجمعيات العربية والإسلامية وغير الإسلامية لحماية الإرث الثقافى لهذه المدينة؛ لأنه إرث إنسانى يجب المحافظة عليه، فضلاً عن تفعيل توصيات المنظمات الدولية التى نصت على أن الإرث الثقافى فى القدس إرث إنسانى مهدد بالأخطار يجب المحافظة عليه.
- 4- إبراز ما تتعرض له أوقاف المدينة المقدسة من تهديد وأخطار من قبل الصهاينة فى المحافل الدولية ووسائل الإعلام المختلفة.
- 5- تخصيص قسم خاص فى المتاحف العربية والإسلامية لآثار القدس وأوقافها لتبقى المدينة حية فى نفوس الأمة.
- 6- إصدار طوابع تذكارية ومدايلات تخليداً للأوقاف المقدسية التى لعبت دوراً اجتماعياً أو ثقافياً عبر تاريخ المدينة.
- 7- تشجيع الصناعات اليدوية التى تجسد معالم القدس الوقفية داخل القدس وخارجها، ويكون جزء من ريع هذه الصناعات لخدمة أوقاف القدس.
- 8- إحياء سنة الوقف لدعم المدينة المقدسة داخلها وفى العالم لإحياء أوقافها التى تعطلت عن تأدية دورها بسبب الإهمال أو قلة الموارد، وهذا يتطلب بث الوعى بين أثرياء الأمة لممارسة دورهم لتعزيز صمود أبناء القدس، والمحافظة على هوية أولى القبلتين وثالث الحرمين.
- 9- حث طلبة الدراسات العليا والباحثين على تقديم مزيد من الدراسات حول التجربة الوقفية لهذه المدينة المقدسة، وما قامت به تلك الأوقاف من دور فى بث ثقافة التعايش والسلم والمحبة بين البشر على اختلاف أجناسهم وأديانهم ومعتقداتهم.

1. عبد اللطيف إبراهيم: دراسات في الكتب والمكتبات الإسلامية، القاهرة، د.ت، ص ص1-35؛ فليب دى طرازي: خزان الكتب العربية في الخافقين، بيروت، 1947م، ج1، ص413.
2. أحصى مجير الدين الحنبلي في كتابه (الأنس للجيل في تاريخ القدس والخليل) ج2، ص ص285-398، أكثر من ستين مدرسة وزلوية، فضلاً عن مكاتب الأطفال؛ محمد أنيب العامري: القدس العربية الحقائق للتاريخية تجاه المزاعم الصهيونية، عمان، 1971م، ص13.
3. الفتح القسى في الفتح القدسى، ص151.
4. لمزيد من التفاصيل عن مكتبة المسجد الأقصى انظر: مجير الدين الحنبلي: الأنس للجيل، ج1، ص399؛ ج2، ص ص16، 96، 380-386، 443-445؛ عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، 1961م، ص451؛ عبد الجليل عبد المهدي: الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى في العصرين الأيوبي والمملوكي، عمان، 1980م، ص ص274-275؛ حاتم أبو هلال: مكتبة المسجد الأقصى المبارك (ندوة المكتبات في بلاد الشام 26-28 تشرين أول 1992م)، ص ص209-214؛ أسعد طلس: دور كتب فلسطين ونفائس مخطوطاتها، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مج20، 1945م، ص ص240-241؛ كامل العسلي: معاهد العلم في بيت المقدس، عمان، 1981م، ص ص376-377.
5. لمزيد من التفاصيل انظر: عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص ص449-450؛ أسعد طلس، مقال سابق، مج20، ص237؛ حسن عبد اللطيف الحسيني: تراجم أهل القدس في القرن الثاني عشر، تحقيق: سلامة صالح نعيمات، عمان، 1985م، ص13.
6. فليب دى طرازي، مرجع سابق، ج1، ص ص124، 143؛ كامل العسلي: تراث فلسطين في كتابات عبد الله مخلص مع دراسة مفصلة عن حياته وشخصيته العلمية، ص ص170-178؛ عارف العارف: المفصل، ص449؛ أسعد طلس، مقال سابق، مج20، ص ص236-237؛ مج21، 1946م؛ أمين سعد أبو ليل: المكتبات الإسلامية في بيت المقدس، بحث مقدم إلى ندوة المكتبات في الأرض المحتلة، الذي عقد في المركز الثقافي الملكي، عمان، 11-13/11/1991م، ص ص3-4.
7. مجير الدين الحنبلي: مصدر سابق، ج2، ص ص34، 386؛ محمد كرد علي: خطط الشام، ج2، ص119؛ موسوعة المدن الفلسطينية، ص ص600-601، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دائرة الثقافة، منظمة التحرير الفلسطينية، ط1، 1990م.
8. أسعد طلس: مقال سابق، مج20، ص238.
9. كامل العسلي: معاهد العلم، ص372؛ الموسوعة الفلسطينية، بيروت، 1990م، مج3، ص286.
10. المقريزى، نقى الدين: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، ج2، ص228؛ ج5، ص301؛ عارف العارف: المفصل، ص179؛ الموسوعة الفلسطينية، مج4، ص286.
11. سعيد عبد الفتاح عاشور: بعض أضواء جديدة على مدينة القدس في عصر سلاطين المماليك، المؤتمر الثالث لتاريخ بلاد الشام وفلسطين، عمان - الأردن، مج1، ص100.

12. على السيد: القدس في العصر المملوكى، القاهرة، ط1، 1981م؛ كامل العسلي: وثائق مقدسية مع مقدمة حول بعض المصادر الأولية لتاريخ القدس، مج1، عمان، 1983م، ص117.
13. أسعد طلس: مقال سابق، مج20، ص238؛ فليب دى طرازي: مرجع سابق، ج1، ص ص 293، 143، ج2، ص475؛ محمد كرد علي: مرجع سابق، ج6، ص ص195-196.
14. عارف العارف: المفصل في تاريخ القدس، ص451؛ الموسوعة الفلسطينية، مج3، ص288.
15. كامل العسلي: وثائق مقدسية، مج2، ص ص291-293؛ الموسوعة الفلسطينية، مج3، ص ص288-306.
16. الموسوعة الفلسطينية، مج3، ص ص296-306؛ مج4، ص286؛ أسعد طلس: مقال سابق، مج20، ص238.
17. الموسوعة الفلسطينية، مج3، ص ص290-291.
18. محمد كرد علي: مرجع سابق، ج6، ص ص148-150.
19. عارف العارف: تاريخ الحرم القدسى، ص109.
20. انظر على سبيل المثال: المقرئزي: مصدر سابق، ج7، ص173.
21. كامل العسلي: معاهد العلم فى بيت المقدس، ص ص168-169، 373؛ محمد كرد علي: مرجع سابق، ج6، ص117.
22. المقرئزي: مصدر سابق، ج7، ص173.
23. السيدة فيراكوسا: مكتبات الأديرة فى منطقة القدس وبيت لحم (دراسة حالة) ندوة المكتبات فى بلاد الشام (26-28 تشرين أول 1992م) ص40؛ أحمد سيد دراج: وثائق دير صهيون بالقدس الشريف، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1968م، ص ص17-21.
24. فيراكوسا: مقال سابق، ص ص45-46؛ كامل العسلي: وثائق مقدسية تاريخية، مج1، ص ص54-58.
25. كامل العسلي: وثائق مقدسية، مج1، ص ص65-72؛ الموسوعة الفلسطينية، مج3، ص308.
26. طرازي: مرجع سابق، ج2، ص ص478-479.
- (27، 28، 29، 30) انظر: فيراكوسا: مقال سابق، ص ص41-47؛ على السيد: القدس فى العصر المملوكى، ص171؛ زياد عبد العزيز المدني: القدس وجوارها خلال (1215-1245هـ) ص282.
- 31- أحمد سيد دراج: مرجع سابق، ص ص17-21؛ طرازي: مرجع سابق، ص ص476-479.
- 32- على السيد: مرجع سابق، ص171؛ موسوعة المدن الفلسطينية، ص602.
- 33- الموسوعة الفلسطينية، مج3، ص302؛ كامل العسلي: معاهد العلم، ص376؛ ابن أبى زرع: روض القرطاس، ص302.

- 34- يوسف غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، دار الحياة — عمان — الأردن، 1982م، ص 107.
- 35- المرجع السابق نفسه، ص 109.
- 36- المقرئزي: مصدر سابق، ج 2، ق 1، ص 144.
- 37- روف سعد أبو جابر: الوجود المسيحي في القدس في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص 53.
- 38- المرجع السابق نفسه، ص 32.
- 39- كامل العسلي: مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس، ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي الإسلامي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون بالتعاون مع معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، 1983م، ص 95.
- 40- مجير الدين الحنبلي: مصدر سابق، ج 2، ص 50؛ العسلي: مقال سابق نفسه.
- 41- كامل العسلي: مقال سابق، ص 97.
- 42- المقال السابق نفسه، ص 98.
- 43- صابر نياض: دراسات في عالم البحر المتوسط في العصور الوسطى، ص 63.
- 44- كارين أرمسترونج: القدس مدينة واحدة عقائد ثلاث، ترجمة: فاطمة نصر، ومحمد عناني، 1998م، ص 573.
- 45- كامل العسلي: مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس، ص 98.
- 46- مايكل دمير: سياسة إسرائيل تجاه الأوقاف الإسلامية في فلسطين (1948-1988م) مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1992م، ص 188.
- 47- المرجع السابق نفسه، ص 189.
- 48- كارين أرمسترونج: مرجع سابق، ص 564.
- 49- المرجع السابق نفسه، ص 573.
- 50- روف سعد أبو جابر: مرجع سابق، ص 56.
- 51- مايكل دمير: مرجع سابق، ص 190.
- 52- كامل العسلي: مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس، ص 102.
- 53- كارين أرمسترونج: مرجع سابق، ص 506-507.
- 54- روف سعد أبو جابر: مرجع سابق، ص 71-72.
- 55- يوسف غوانمة: تاريخ نيابة بيت المقدس، ص 84.
- 56- روف سعد أبو جابر: مرجع سابق، ص 27-28.

- 57- مايكل دمير: مرجع سابق، ص 189؛ يوسف غوانمة: مرجع سابق، ص 86.
- 58- يوسف غوانمة: مرجع سابق، ص 85.
- 59- المرجع السابق نفسه، ص 85-86.
- 60- المرجع السابق نفسه، ص 85.
- 61- نبيل الأغا: لن نقول للقدس وداعا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 1998 م، ص ص 85-86.
- 62- يوسف غوانمة: مرجع سابق، ص 109.
- 63- المقرئزي: السلوك، ج 1، ق 2، ص 521؛ نبيل الأغا: مرجع سابق، ص 80.
- 64- كامل العسلي: من آثارنا في بيت المقدس، عمان، 1982م؛ نبيل الأغا: مرجع سابق، ص 80.
- 65- روف سعد أبو جابر: مرجع سابق، ص 56.
- 66- كارين أرمسترونج: مرجع سابق، ص 573.
- 67- يوسف غوانمة: مرجع سابق، ص 133.
- 68- معين حسيب فرج الله: تاريخ القدس العربية، دار سعاد الصباح للنشر والتوزيع، الكويت، 1967م، ص 94.
- 69- مايكل دمير: مرجع سابق، ص 190.
- 70- محمود العابدي: قدسنا، مطبوعات جامعة الدول العربية، القاهرة، 1972م.
- 71- المقرئزي، ج 2، ط 1، ص 144؛ يوسف غوانمة: مرجع سابق، ص 85، 122.
- 72- روف سعد أبو جابر: مرجع سابق، ص 32.
- 73- تظر الأحاديث في هذا الباب: أبو دلود: السنن رقم 3052؛ لبيهقي: السنن الكبرى، ج 5، ص 205؛ أحمد بن حنبل: المسند، ج 2، ص 186؛ ابن قيم الجوزية: أحكام أهل النمة، ج 2، ص 841.
- 74- نبيل خالد الأغا: مرجع سابق، ص 103-104.
- 75- عبد الرحمن سعيد حمودة: بيت المقدس في عهد المماليك — رسالة ماجستير غير منشورة — كلية اللغة العربية — جامعة الأزهر، 1979م، ص 103-104.
- 76- محمد علي البار: القدس والمسجد الأقصى عبر التاريخ مع دراسة تحليلية للقضية الفلسطينية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط 1، 2002م، ص 177-178.
- 77- روف سعد أبو جابر: مرجع سابق، ص 14.
- 78- نبيل الأغا: لن نقول للقدس وداعا، ص 78-76؛ محمد علي البار: مرجع سابق، ص 51.
- 79- روف سعد أبو جابر: مرجع سابق، ص 57.